

النصيحة - المتطلقات والأبعاد

د. جعفر شبو

جامعة أم درمان الإسلامية

المستخلص :

يأتي هذا البحث تحت عنوان تطبيقات النصيحة ، ويتناول فيه الباحث نماذج من تطبيقات النصيحة ودورها في تقويم المجتمعات الإسلامية والمحافظة على قيمها وأخلاقيها. عبر حقب تاريخية مختلفة .

اتبع الباحث في هذا البحث مناهج المؤرخين في الوصف والتفسير والتحليل وذلك بمضاهاة المصادر واستكناها لتقصي الحقائق وتدعيم وجهة نظره . ولقد اعتمد الباحث على عدد وافر من المصادر والمراجع يأتي على رأسها كتاب الله العزيز ثم كتب الصحاح في السنة النبوية المطهرة ، وتأتي بعد ذلك كتب التراث والتاريخ الإسلامي بالإضافة إلى مجموعة من المراجع الحديثة في موضوع البحث.

يتألف البحث من فصول ثلاثة وخاتمة : الفصل الأول في معنى النصيحة ومفهومها ومشروعيتها وأدلتها. أما الفصل الثاني فيبحث تطبيقات النصيحة في التاريخ الإسلامي ويتناول دورها في رتق نسيج المجتمعات المسلمة وترسيخ دعائم الحضارة الإسلامية ويناقش فيه الباحث

تطور مؤسسات الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر العصور الإسلامية المختلفة حتى أصبحت في بعض الدول الإسلامية هيئات يعول عليها في حراسة الدين ومكارم الأخلاق . وفي الفصل الثالث يتناول الباحث الشورى باعتبارها واحدة من تطبيقات النصيحة قديماً وحديثاً ؛ و الدور الذي يمكن أن تؤديه في رعاية حقوق الناس وضبط مؤسسات الحكم وتسخيرها لخدمة مصالح الحكوميين وفقاً لمقاصد الشرع الحنيف.

وفي الخاتمة خلص الباحث إلى نتائج مهمة أظهرت الفوائد الجمة للنصيحة وقدرتها على صيانة المجتمعات وحفظها وتغييرها إلى الأفضل . ويردف الباحث النتائج التي توصل إليها بتوصيات يري أنها تتسجم مع رؤية المؤتمر ورسالته الهادفة لتزكية المجتمعات الإسلامية.

مقدمة :

النصيحة قيمة إنسانية جلية ذات تأثير إيجابي في بناء الحضارة وحفظ القيم ورد الناس إلى الجادة ، بدأت مسيرتها منذ أن استخلف الله سبحانه وتعالى الإنسان علي

الأرض وإلي يومنا هذا .

وكان للنصيحة دورٌ فاعل في التزام المسلمين بقيم الإسلام العليا مثل الرحمة والأمانة والعدل والصدق والشجاعة والعفة والإيثار والرضا . ولقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق ، كما جاء في الحديث الصحيح . وقد أكمل الله به الدين وأتم به النعمة ، قال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة المائدة الآية ٢) .

وبذلك اكتمل العلم وتكاملت المعرفة لدي الأمة الإسلامية ، لبست الأمة تاج الخيرية وحملت مشعل هداية البشرية علي نهج شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَوْا أَمَمًا لِّلْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (سورة آل عمران الآية ١١٠) . انطلق المسلمون وفقاً لتوجيهات دينهم يأمرون بالمعروف ويتعاطون النصيحة علي كافة المستويات لأنها لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ؛ وبرزت الحضارة الإسلامية تبشر بشريعة عامة غايتها السعي لتحقيق مصالح الناس من خلال إشاعة ثقافة النصيحة لأن رابطة الإيمان هي القاعدة التي ينطلق منها أفراد المجتمع وأصرة الإنسانية هي

الأساس الذي يقوم عليها بناؤه .

الفصل الأول :

النصيحة : المفاهيم والمعاني والآداب

مفاهيم ومعاني النصيحة :

النصيحة في اللغة قول فيه دعوة إلي صلاح ونهي عن فساد والجمع نصائح وهي اسم من مصدر الفعل نَصَحَ يقال نصح الشئ نصحاً ونصوحاً ونصاحة : خلص^(١) ونصحت توبته خلصت من شوائب العزم علي الرجوع ، وفي حديث ابن مسعود قال : التوبة النصوح أن يتوب العبد من الذنب ثم لا يرجع إليه أبداً^(٢) . والنصيحة في الاصطلاح : إخلاص الرأي من الفش للمنصوح ، أي هي الدعوة إلي ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد ، ونقل النووي عن الخطابي قوله النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الخط للمنصوح له ، وقال ليس من كلام العرب كلمة مفردة تستوفي بها العبارة عن معني هذه الكلمة^(٣) . وللنصيحة صلة ببعض الألفاظ كالخدعة والفش والتوبيخ . والصلة بين النصيحة والخدعة والفش التضاد والفرق بين النصيحة والتوبيخ الإسرار والإعلان .

ولقد ورد النصيح في كتاب الله تعالى بصيغ المضارع والماضي في عدد من آي الذكر الحكيم علي لسان أنبياء الله الكرام : نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام . قال تعالى علي لسان نوح عليه السلام (أَلْفَكُمُ

الأصفهاني : "يتأكد وجوبها لخاصة المسلمين وعامتهم وقد عظم النبي صلي الله عليه وسلم شأنها في حديث "الدين النصيحة" المشهور فتبين أن النصح واجب لكافة الناس بأن نتحرى مصلحتهم في جميع أمورهم ^(١) وقال المائكية النصيحة فرض عين سواء طلبت أم لم تطلب إذا ظن الإفادة لأنه من باب الأمر بالمعروف ، ونقل النووي عن ابن بطال أن النصيحة فرض كفاية يجزي فيه من قام به ويسقط عن الباقيين ^(٢) .

النصيحة لازمة علي قدر الحاجة والطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن علي نفسه من المكروه ، فإن خشي علي نفسه أذي فهو في سعة ، ولا يسقط التكليف بالنصيحة مادام صحيح العقل . قال ابن رجب قد ترفع الأعمال كلها عن العبد في بعض الحالات ولا يرفع عنه النصح لله ، فلو كان من المرض بحال لا يمكنه عمل شئ من جوارحه بلسان ولا غيره ، غير أن عقله ثابت لم يسقط عنه النصح لله بقلبه ، وهو أن يندم علي ذنوبه وينوي إن صح أن يقوم بما افترض الله عليه ويجتنب ما نهاه عنه والا كان غير ناصح لله بقلبه ^(٣) اختلف العلماء في حصر الدين في النصيحة الذي ورد في الحديث ، هل هو حصر مجازي أم حقيقي فقال بعضهم "الدين النصيحة" أي هي عماد الدين وقوامه كقوله صلي الله عليه وسلم "الحج عرفة" ^(٤) فهو من الحصر

رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون (سورة الأعراف الآية ٦٢) وقال تعالي علي لسان هود عليه السلام (أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) (سورة الأعراف الآية ٦٨) وقال تعالي علي لسان صالح عليه السلام (فتولي عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) (سورة الأعراف الآية ٧٨) وقال تعالي علي لسان نبيه شعيب عليه السلام (فتولي عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسي علي قوم كافرين) (سورة الأعراف الآية ٩٢) فقد قام هؤلاء الأنبياء بالنصيحة لأقوامهم خير قيام ، وهذا شأن الرسل أن يكونوا مبلغين ناصحين عالمين بالله لا يفوقهم أحد في ذلك . وعلي الرغم من إخلاص هؤلاء الرسل في بذل النصيحة وحرصهم علي هداية أقوامهم ؛ إلا أنهم كذبوا وتجراً عليهم المنصوحون ولم يردوا عليهم نصيحتهم بأدنى شبهة فضلاً أن يردوا بحجة . ويستفاد من معاني الآيات أن يخلص الإنسان نيته في قوله وفعله إذا أراد أن ينصح ولا يقصد بذلك أي عرض من أعراض الدنيا أو الانتصار للنفس أو الانتقام للمنصوح وأن يبذل قصارى جهده في النصح بأن يتحرى أحسن أسلوب لديه .

ذهب الفقهاء إلي أن النصيحة تجب علي المسلمين وقال ابن حجر الهيتمي والراغب

مما تكره ؟ " فاستغفاه سلمان فألح عليه فقال : " بلغني أن لك حلتان تلبس أحدهما بالنهار والأخرى بالليل ، وبلغني أنك تجمع بين إدامين علي مائة واحدة " فقال عمر رضي الله عنه : أما هذان فقد كفيتهما ، فهل بلغك غيرهما ؟ " فقال : لا " (١١) .

لقد أدرك سلف هذه الأمة قيمة النصيحة وأهميتها فقال المناوي : " من قبل النصيحة أمن الفضيحة ، ومن أبي فلا يلومن إلا نفسه " (١٢) وقال الإمام الغزالي رحمه الله : " وصف الله سبحانه وتعالى الكاذبين بيفضهم للناصحين إذ قال في سورة الأعراف علي لسان نبيه هود عليه السلام " ولكن لاتحبون الناصحين " (١٣) .

آداب النصيحة ومكائنها :

لقد أجمع العلماء أن للنصيحة آداب لا بد من التأدب بها لكي تؤدي النصيحة دورها علي الوجه الأكمل في درء المفساد وجلب المنافع ؛ ومن هذه الآداب الإسرار بها ؛ أي أن تكون سرّاً لا يطلع عليه أحد فينصح الناصح للمنصوح فيما بينه وبينه لأن ما كان علي الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة ؛ فمن وعظ أخاه سرّاً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه . ومن ذلك الآيات المنسوبة للإمام الشافعي رضي الله عنه :

تغمدي بنصحك في انفراد

وجنبني النصيحة في الجماعة

المجازي لا الحقيقي ، أي أنه أريد المبالغة في مدح النصيحة حتى جعلت كل الدين مع أن الدين مشتملاً علي خصال كثيرة غيرها . وقال غيرهم كابن رجب : " أخبر النبي صلي الله عليه وسلم أن " الدين النصيحة " وهو يدل علي أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام ، وسمي ذلك كله ديناً فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته علي الوجه الأكمل وهو مقام الإحسان فلا يكمل النصح لله بدون ذلك ولا يتأتي ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة (١٤) . وقال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله " يحتمل أن يحمل الحديث علي ظاهره لأن كل عمل لم يرد به عامله الإخلاص فليس من الدين " (١٥) .

إن المسلم بحاجة إلي نصح أخيه المسلم لأنه يري منه ما لا يري من نفسه ، فيستفيد من أخيه معرفة عيوب نفسه ، كما يستفيد بالمرآة الوقوف علي عيوب صورته الظاهرة ، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " المؤمن مرآة أخيه " (١٦) وفي رواية " أن أحدهم مرآة أخيه ، فإن رأي به أذي فليطمه عنه " وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستهدي ذلك من أصحابه ويقول " رحم الله امرءاً أهدي إلي عيوبي " وقال مرة للصحابي الجليل سلمان الفارسي : " ما الذي بلغك عني

فإن النصيح بين الناس نوعٌ

من التوبيخ لا أرضي استماعه

وإن خالفتني وعصيت قولي

فلا تجزع إذا لم تعط طاعة^(١٤)

إن من أهم عوامل نجاح النصيحة

الإخلاص فيها لمن استنصح فينبغي أن

يخلص النصيحة لأنه مستشار " والمستشار

مؤتمن " كما قال صلى الله عليه وسلم^(١٥)

يرشد ويوجه إلي ما فيه رشد المستشار

وخيره ، فإن أشار بغير صواب فقد غش

في مشورته ؛ فإخلاص النصيح إبراء لذمة

الناصح المتقيد بأداب إسداء النصيحة

وأدعي لفائدة المنصوح الذي لن يجد

مندوحة عن الاستجابة لناصح أمين متأذب

بأدب أهل النصيحة . فقد ذكر الراغب

الأصفهاني أن أول أمر النصيح أن ينصح

الإنسان نفسه فمن غشها فقلما ينصح

غيره^(١٦) ، ومن آداب النصيحة ما يتعلق

بالناصح خاصة كال معرفة بالعلم الشرعي

المتضمن لأحوال الناس وعلم الزمان وعلم

المكان وعلم الاقتصاد والاجتماع والمنطق

بالإضافة إلي عقل راجح وفكر صحيح

ورؤية حسنة وتؤدة وأناة .

لقد عرف سلف هذه الأمة أهمية النصيحة

وخطرها فعدوها من أجل القربات إلي

الله تعالى . فقد قال الفضيل بن عياض

" ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصيام

والصلاة ، وإنما بسخاء الأنفس وسلامة

الصدر والنصح للأمة^(١٧) " وروي الإمام

الحسن البصري عن بعض أصحاب

الرسول صلى الله عليه وسلم قولهم

: " والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسمن

لكم بالله أن أحب عباد الله إلي الله

الذين يحبون الله إلي عبادهم ويحبون

عباد الله إلي الله ويسعون في الأرض

بالنصيحة^(١٨) .

أما فيما يتصل بمكانة النصيحة وعلي من

تجب ، فلعلة من المناسب أن نورد حديث

الدين النصيحة المشار إليه آنفا بنصه

لأنه يفصح بجلاء عن أهمية النصيحة

ومكانتها ويبين علي من تجب ؛ و الحديث

رواه الصحابي الجليل تميم الداري رضي

الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم " الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟

قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين

وعامتهم^(١٩) . فالنصيحة لله تعالى

فمعناها منصرف إلي الإيمان به ونفي

الشرك عنه والقيام بطاعته واجتناب

معصيته والحب فيه والبغض فيه وموالة

من أطاعه ومعاداة من عصاه والاعتراف

بنعمه وشكره عليها ، والنصيحة لكتاب

الله تعالى تكون بالإيمان بأنه كلام الله

تعالى وتنزيله لا يشبهه شئ من كلام الخلق

ولا يقدر علي مثله أحد ولا يأتيه الباطل من

بين يديه ولا من خلفه ، ثم يعظمه بتلاوته

والتصديق بما فيه وتطبيق أحكامه والعمل

بمحكمه والتسليم بمتشابهه .

والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم

من أول سورة فيه إلى آخر سورة ولا نعدو الحقيقة إن قلنا أن القرآن الكريم في مجمله كتاب نصيحة ؛ كيف لا وهو كلام الله الذي أراد به هداية عباده إلى معرفته وعبادته وتعمير الأرض وفق سننه وهديه . فعندما خلق الله سبحانه وتعالى آدم نصحه أن لا يقرب شجرة بعينها إلا أن إبليس عليه لعائن الله زحزحه عن نصيحة ربه فكان ذلك الخروج الأليم ، قال تعالى "فأزلهما الشيطان عنها" أي زحزهما عن النصيحة فأخرجهما من الجنة بعد أن قاسمهما وسؤل لهما وأغراهما بالخلود إذا أكلتا من الشجرة التي نهاهما الله عنها وحذرهما من مجرد الاقتراب منها^(٢٠) قال تعالى (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ البقرة الآيات (٢٥، ٢٦) .

وقد أخذ الله علي عباده المواثيق بعد أن أمحصهم النصح ليوحيوهم ويتمسكوا بالمثل العليا قال تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ

فتكون بتصديقه علي الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به وطاعته في أمره ونهيه وزجره ونصرته حياً وميتاً ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه ومحببة أهل بيته وأصحابه . والمراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يلي أمور المسلمين ، وقد يتأول ذلك علي الأئمة الذين هم علماء الدين . والنصيحة لأئمة المسلمين تكون بمعاونتهم علي الحق وطاعتهم فيه وتبليغهم إليه برفق ولطف ، وإعلامهم بما غفلوا عنه من حقوق المسلمين وتأليف قلوب الناس لطاعتهم . ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم ويشمل واجب النصح ألا يُغَرَّوا بالثناء الكاذب عليهم وأن يُدعي لهم بالصلاح والتوفيق.

أما عامة المسلمين ، فهم عدا ولاة الأمر ، فنصيحتهم هي إرشادهم لمصالحهم الأخروية والدنيوية وكف الأذى عنهم وتعليمهم ما يجهلون من دينهم وإعانتهم عليه بالقول والفعل وستر عوراتهم وسد خلاتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص ، والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم العامة والخاصة .

النصيحة في القرآن الكريم :

تهيمن النصيحة على أي القرآن الكريم

دَمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَوُونَ (البقرة، الآيات ٨٤، ٨٥) فهذه النصيحة الإلهية الأزلية ينبغي أن يتوارثها بنو الإنسان جيل بعد جيل وفاءً بمعهد الله وميثاقه، ولكن الإنسان ينسى ويطفئ فينتكب الطريق. وكما جاءت النصائح القرآنية في كتاب الله العزيز علي أسنة الأنبياء المرسلين لأقوامهم، جاءت علي أسنة المؤمنين الصادقين، فهذا مؤمن آل فرعون ينصح قومه الأعداء بمنطق سديد في آيات بينات من سورة غافر، قال تعالى علي لسان ذلك المؤمن التقي (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ خِيَا قَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا) غافر، الآيات (٢٨-٢٩) ولقد كرم الله مؤمن آل فرعون هذا الذي دعا إلي سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فوقاه الله سيئات ما مكر فرعون وآله، ليكون نموذجا للدعاة لله يحتذي علي مر الأزمان.

أما سيدنا لقمان الحكيم الشاكر لأنعم الله، فقد عكف علي نصح ابنه وإرشاده للمثل العليا والقيم الفاضلة. قال تعالى علي لسانه (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ

ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ وَلَا تَصْغُرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْصِضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتَ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) لقمان الآيات (١٧-١٩) ولا يخفي ما في هذه النصائح اللقمانية من فوائد تربوية فيها سعادة الفرد والمجتمع، والنماذج التي تقدمت غيض من فيض فאלقرآن الكريم هو كتاب النصيحة الأول والأكمل.

النصيحة في السنة النبوية :

بعث الله تعالى سيدنا محمداً بالرسالة الخاتمة رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً. وتتجلي هذه الرحمة الواسعة فيما بذله رسول الله من نصح للعالمين، فما من خير إلا دل عليه واستنهض له الهمم وحشد له الطاقات وما من شر إلا حذر منه وهو في ذلك القدوة والمثل الأعلى، ذلك دأبه من لدن مبعثه الميمون حتى موته فهدي من الضلال وبصر من العمى وترك الأمة علي المحجة البيضاء. حمل عبء التكليف فدعا إلي توحيد الله ونصح بالتمسك بأهداب الفضيلة والتحلي بمكارم الأخلاق، وفي ذلك يقول صلي الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (٢١) ويتضح جلياً من أفعال الرسول صلي الله عليه وسلم وأقواله أن بذله للنصيحة وإخلاصه في تقديمها يتم بدافع الحب المتأصل في نفسه لأمتة وللإنسانية قاطبة؛ ولقد

علي الطرقات ، فقالوا ما لنا بد ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال فإذا أيتّم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا وما حق الطريق ؟ قال " غرض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمرٌ بالمعروف ونهي عن المنكر ^(٢١) ". فقد كره النبي صلى الله عليه وسلم للناس جلوسهم في الطرقات لئلا يؤذوا أنفسهم أو يؤذوا الناس . وأشار بغض البصر إلى السلامة من التعرض للفتنة وبكف الأذى إلى السلامة من الاحتقار والغيبة ونحوها وبرد السلام إلى إكرام المار وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى العمل بالمعروف والإمساك عن الشر ويؤخذ من هذا الحديث أن دفع المفسدة أولى من جلب المصلحة لنديه أولاً إلى ترك الجلوس علي الطرقات مع ما فيه من الأجر لمن عمل بحق الطريق وذلك لأن الاحتياط بطلب السلامة أكد من الطمع في الزيادة .

لقد هدف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال هديه النبوي الشريف إلى صياغة إنسان معتدل مطمئن النفس آخذ بمكارم الأخلاق ، ينزع نحو الكمال في كل ما يصدر عنه ولقد برزت وتجلت تلك القيم التربوية العالية في جيل الصحابة رضوان الله عليهم الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم " خير القرون قرني فالذين يلونهم ثم الذين يلونهم ^(٢٢) " .

حرص دائماً أن يسود الحب والوئام بين أفراد المجتمع عبر النصيحة ، ومن أقواله في ذلك صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ^(٢٣) " . ولقد حرص نبي الهدي صلى الله عليه وسلم أن تبني المجتمعات الإسلامية علي قيم الصدق والأمانة والوفاء وهي قيم لا تقوم لها قائمة في وجود النفاق البغيض الذي ما فتئ الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر منه . قال صلى الله عليه وسلم : آية المنافق ثلاث : " إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان " ^(٢٤) ومن وصاياه في هذا الصدد الإحسان للجيران لأن ذلك يؤدي لتقوية نسيج المجتمعات ويشيع فيها روح المحبة والوئام ؛ وفي ذلك قال صلى الله عليه وسلم : " والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من يا رسول الله ، قال : من لا يأمن جاره بوائقه ^(٢٥) " وشهد له أصحابه المكرمون بالبلاغ المبين فقال في حجة الوداع : " ألا هل بلغت ؟ قالوا بلي ، قال اللهم فاشهد ^(٢٥) " .

ومن هديه صلى الله عليه وسلم أن يتناصح الناس جميعهم في كل شؤونهم ، وقد تقدم ذلك في حديث الدين النصيحة المشهور ، وأوضح صلى الله عليه وسلم أن الوسيلة الناجعة في هذا الصدد هي إعمال شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه " إياكم والجلوس

الفصل الثاني :

تطبيقات النصيحة في التاريخ الإسلامي :

يذخر التاريخ الإسلامي بنماذج للنصيحة لا حصر لها في جميع مستويات المجتمع الإسلامي بدءاً من الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، خير من بذل النصيحة وخير من طلبها واحتقي بها وعمل بموجبها قبلها في أول عهد بالوحي من زوجته الكريمة سيدة نساء العالمين خديجة بنت خويلد فتصحته بالثبات قاطعة بأن الله لن يخذيه لأنه يصل الرحم ويحمل الكل ويعين علي نوائب الحق ؛ بل وذهبت لأبعد من ذلك عندما اصططحته لزيارة ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي الذي تنصر في الجاهلية وكان يكتب الإنجيل بالعبرائية ، فبشره بالنبوة وذكر له عداوة قومه ^(١) وكما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم النصح من زوجته خديجة ، قبله من زوجته أم سلمة يوم صلح الحديبية عندما شكها لها تباطؤ الناس عن النحر والتحلل ، فتصحته ألا يكلم أحداً حتى ينحر بئنه ويدعو حالقه ، فعمل بنصيحتها المباركة فتبعه الصحابة زرافات ووحداً وماتت الفتنة في مهدها ^(٢) . ومن النصائح الخالدة في صدر الإسلام نصيحة الصحابي الجليل الحباب بن المنذر ، بتغيير مكان نزول الجيش الإسلامي يوم بدر ليكون عند أدنى ماء من العدو ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزولاً علي

رأي رجل من أصحابه خبير في مكائد الحرب ^(٣) . وليس بعيد من ذلك استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم لنصيحة صاحبه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق حول المدينة المنورة في غزوة الأحزاب في العام الخامس من الهجرة وببركة نصيحة سلمان الفارسي رضي الله عنه سلم الله مدينة رسول الله الكريم ^(٤) .

ويمضي بنا تاريخ الحضارة الإسلامية عبر حقبة المباركات تسد النصيحة خلله ، فعندما استخلفنا سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، أراد أن يمضي إلي السوق متجراً غداً بيعته « فلتخفه سيدنا عمر بن الخطاب فتصححه أن يعدل عن خطته ليرعى مصالح المسلمين علي أن يفرض له من بيت مال المسلمين ما يكفيه ، فسار علي هذا النهج أمراء المسلمين عبر حقبة تاريخهم المجيد ^(٥) .

أما عمر بن الخطاب ، ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنه ، فقد كان وقافاً عند حدود الله تعالى وله مواقف مشهورة في طلب النصيحة والرجوع إلي الحق متى ما تبين له ، ولم يكن يكثرث لمصدر النصيحة إذا تبين رشدما وجدواها ، وهو القائل " أخطأ عمر وأصاب امرأة " عندما أراد تحديد مهر الزواج ، وعندما قيد العطاء من بيت المال للمواليد بالقطام وعندما أراد استبقاء الجند بالثغور لمدة عام ^(٦) . وعلي ذلك النهج القويم سار الخلفاء الراشدون

، فأطلق عليه المؤرخون لقب الخليفة الراشد الخامس وأصبح عهده غرة في جبين الدولة الأموية ، فقد كان للعلماء في دولته صولة وجولة باذلين النصح آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ، فانتشر العدل وانقمع الزيف والفساد وعمت الطمأنينة والرخاء جميع أرجاء الدولة المترامية الأطراف .

كان للنصيحة في العصر العباسي شأنٌ مذكور، فقد تصدى العلماء في شجاعة وتجرد لكل ما رأوه تجاوزاً من الخلفاء لأحكام الشرع أو حيفاً بالبلاد وجوراً بالعباد ، فهاهو الإمام الأوزاعي رضي الله عنه ينصح الخليفة هرون الرشيد ويحذره من الظلم حتى خرّ مغشياً عليه ^(١) . هذا ولم يثبت تاريخنا أن العلماء وهم يؤدون واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تعرضوا من قبل الخلفاء والأمراء إلي الاضطهاد أو التنكيل بهم : اللهم إلا ما كان من أمر الخليفة العباسي المأمون وأخوه المعتصم مع الإمام الأمة أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن ^(٢) .

للنصيحة في المجتمعات الإسلامية أثرٌ صالحٌ أدى إلي تميز المجتمعات الإسلامية ومقاومتها لعوامل التفكك والانحلال ، علي مستوي الأفراد والأسر والجماعات ، ذلك لأن تعاليم الإسلام في إعلاء شأن قيم التراحم والتعاون والتكافل واحترام الروابط الأسرية وتكريم الإنسان من حيث أنه ابن لأبينا آدم عليه السلام واضحة

يبدلون النصيحة للأمة ويقبلونها من جماعاتها وأحاديها رجالاً كانوا أم نساء . أثر عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان حرصه الشديد علي طلب النصيحة من أهل الرأي والتجربة والفعل بمقتضاها . وكان أول الناصحين له واليه سيدنا أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه عندما استعمله عمر علي ما كان يتولاه أخوه يزيد بعد أن هلك ، فقال له : " يا بني ، أرى هذا الرجل يقدمك علي غيرك ممن هم أسن منك من أصحاب رسول الله ، فلا تجربن منك كذباً ولا خيانة " ، وتلقي مثل هذه النصيحة من أمه هند بنت عتبة رضي الله عنها ^(٣) . ولعل مرد ما اشتهر عنه من الأناة والحلم مع خصومه إلي ما أحاط به نفسه من نصحاء مخلصين من أمثال الأحنف بن قيس وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما . ولقد تأسى بعض خلفاء بني أمية أمثال عبد الملك بن مروان وابنه هشام بنهج معاوية في تصحيح المواقف نزولاً عند النصح المخلص، ولا بد من الإشارة هنا لمواقف العلماء ضد تعسف بعض أمراء بني أمية ، ومن أمثلة ذلك إنكار الإمام الحسن البصري علي الججاج بن يوسف ويزيد بن المهلب زيادة الضرائب والجور في الأحكام ^(٤) .

أما تعاظمي الخليفة الأموي الورع سيدنا عمر بن عبد العزيز مع النصيحة فقد كان فريداً في نوعه ، فبماعله مع النصح والناصحين ارتفع لمراتب الخلفاء الراشدين

كل الوضوح في العصر الحديث . والمسلم الحق يعرف للوالدين حقوقاً لا حصر لها . والأسرة تقوم علي توفير الكبير ورحمة الصغير . ويعرف المسلم أن الخلق عيال الله وأحبهم إلي الله أنفعهم لعياله^(١١) . لذلك نجد المسلم حريصاً علي عمل الخير وإعمار الأرض بما ينفع الناس مجتنباً السعي فيها فساداً وإهلاكاً للحرث والنسل وتخريباً للبيئة التي يعيش فيها . فالمسلمون يتناصحون في إطار هذه القيم الراقية يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر علي كل حال . وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الأسرة في المجتمعات الإسلامية هي الأكثر تماسكاً مقارنةً بالمجتمعات الأخرى ، كما أثبتت أن نسبة تقشي الأمراض النفسية والجنسية في المجتمعات الإسلامية تقل عن نظيراتها في المجتمعات الأخرى بصورة ملفتة للنظر^(١٢) . ولا يخفي أن مرد ذلك إلي التناصح حول ضرورة التمسك بخلق الطهارة والعفة والبعد عن التبرج والتفسخ وما يؤدي إلي تغيير العقل الذي كرم به الله تعالى الإنسان .

الحسبة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

تميزت فترات من التاريخ بعابرة يردون الناس إلي الصواب ويجددون ما اندرس من معالم الهدى ، فبعض النفوس البشرية نزاعة للشّر أكثر منها للخير ، ولوترك كل شخص وهواه يأتي من الأفعال والأقوال

ما يريد ولم يمنع من الاعتداء علي الغير ، ولم يكن للخير راع ولا للمنكر رادع لعمت الفوضى وساءت الحال واستشري الفساد وخربت البلاد . وتحقيقاً لمصلحة العباد قامت الديانات أمرةً بالمعروف ناهيةً عن المنكر ليتحقق للناس الأمن والسلام والاستقرار والنظام والنجاة من العذاب . قال تعالى (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (الأعراف، الآية ١٦٥) .

ومن هنا نعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل النبيين والمرسلين وطريق المرشدين الصادقين وشرعية ضرورية للمجتمع الإنساني، دلّ علي ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة . أما الكتاب فالآيات الدالة علي ذلك كثيرة منها قوله تعالى (وَلْيَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران، الآية ١٠٤) . قاله تعالى أمر عباده أن يكون منهم جماعة يدعون إلي الخير ، وقد وبّخ الله علماء اليهود والنصارى وذمهم لتقاعسهم وتخاذلهم عن أداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) المائدة، الآية ٦٣ ، وقد دلت هذه الآية أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر ، حيث جمع الله بين

والذي أراه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتغير حكمه حسب الظروف والملابسات ، فقد يصير فرض عين لولي الأمر ومن في حكمه لأنه يملك السلطان والقوة ، وكذا يلزم من لا يوجد غيره للقيام به ؛ وقد يصبح مستحباً أو مباحاً إذا وجد غيره يقوم بهذا الأمر ، وقد يصبح محرماً أو مكروهاً إذا لحق المرء ضرر من جرائه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات ، فإنه يجب ترجيح الراجح منها ^(١٦) "

نالت شعبية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اهتمام خلفاء بني أمية وبني العباس ، وصارت من الولايات المرموقة تسند مهامها لكبار علماء الأمة من أهل القرآن والسنة فعلى عهد الخليفة العادل عمر ابن عبد العزيز تولى وظيفة عامل السوق العالم الجليل سليمان بن يسار . وقد كان سيدنا عمر بن عبد العزيز لا يولي إلا أهل القرآن والسنة ^(١٧) .

وفي عهد الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور نشأ مصطلح المحتسب ، وقد جاء في مصادر التاريخ الإسلامي أن المنصور ولي عاصم بن سليمان الأحوال الحسبة والمكايل والأوزان بالكوفة ، وولي أبا زكريا بن عبد الله حسبة بغداد والأسواق في سنة ١٥٧هـ ^(١٨) . وفي عهد المهدي دخلت ولاية السوق في نظام الدواوين ، ولما ظهرت حركة

فاعل المنكر وتارك الإنكار في الذم . قال ابن عباس رضي الله عنهما " ما في القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية " ^(١٢) " ولا يكون الذم والتوبيخ إلا على ترك أمر مشروع . دلت النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه من النصيحة ولم ينازع في ذلك أحد ، إلا أن العلماء اختلفوا في تحديد صفة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هل هو فرض عين أم فرض كفاية ، وذهب جمهور الفقهاء إلى أنه من فروض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه ، بل هو على الكفاية ، فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر بحسب قدرته ، إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته ، وهو قول ابن قدامة كذلك ^(١٤) . ويقول الفخر الرازي في تفسيره : " أوجب الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة " ويستدل بالآية الكريمة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) آل عمران ، الآية ١١٠ وأنه لا مكلف إلا ووجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إما بيده أو بلسانه أو بقلبه ، ويجب على كل أحد دفع الضرر عن النفس وذكر أن كلمة " من " في الآية الكريمة (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) للتبيين لا للتبويض ^(١٥) .

الزنادقة بعث إليهم عبد الجبار المحتسب . وقد حفظت لنا كتب السير والتاريخ عدداً كبيراً من أسماء الذين تولوا الحسبة ، كما ظهرت المؤلفات والمصنفات في ولاية الحسبة ، مثل كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الأندلسي في ٢٨٩هـ وكتاب الاحتساب للأطروسي في ٣٠٤هـ والأحكام السلطانية للماوردي في ٤٥٠هـ والأحكام السلطانية لابن يعلى في ٤٥٨هـ . وكان الأمر بالمعروف يقوي بقوة الدولة ويضعف بضعفها . استمرت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتطور وتؤدي دورها فقد كان لها شأن بمصر حيث أنشئت دار العيأر تحت إشراف المحتسب وازدهرت في عهد صلاح الدين الأيوبي الذي طلب من القاضي عبد الرحمن الشيزري وضع كتاب في الحسبة وكان كتابه المشهور "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" وكان من أهم واجبات المحتسب حينذاك الإشراف على الآداب العامة ومنع الاختلاط وكان المحتسب في مصر يتصدي للسلطين والولة أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر وقد حفظت لنا كتب التاريخ ما قام به الإمام العز بن عبد السلام من نصيحة للملك الصالح نجم الدين عام ٦٢٩هـ . وكان من نتيجه منع الخمر بمصر . ولعبت الحسبة دوراً مهماً في إشاعة الأمن والطمأنينة طوال عهد المماليك بمصر ، خاصة في عهد الظاهر بيبرس البندقاوي الذي أوعز للمحتسب تشديد النكير علي

أهل الخمر والفجور عام ٦٦٥هـ^(١٩) أما في أول عهد الدولة العثمانية فقد كانت ولاية الحسبة ضمن الولايات المتميزة ، إلا أنها في آخر العهد صارت مقصورة علي النواحي المدنية فقط ؛ وبقيت كذلك إلي أواسط القرن الثالث عشر الهجري عندما استعيز عنها بمجالس المديريات . ويذكر الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي "أن الحسبة كانت من الوظائف الراتبية" وقد أدركتها في العصر العثماني بمكة ، وكان آخر من أدركته قائماً بها ١٢٢٥-١٢٣٠هـ رجل تركي الأصل يدعي القيصرلي ، وكان له من الرهبة والهيبة والسلطان ما أشاع الأمان والطمأنينة بأسواق مكة ، وكانت صلاحياته مطلقة في الحبس والجلد^(٢٠)

الفصل الثالث :

تطبيقات النصيحة حديثاً :

لقد تبين لنا من خلال الفصلين السابقين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ضرورات الحياة البشرية ولا يستقيم حال البشر بدونه ؛ كما إنه من شعائر الإسلام المهمة في المجتمع الإسلامي ، ولم يتوقف طوال تاريخ المسلمين وقد ترسخت قيم الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمعات الإسلامية منذ فجر الإسلام ؛ إلا أن أنواتها ووسائلها وآلياتها اختلفت باختلاف المجتمعات والثقافات والأماكن وتطورت مع مرور الزمن ؛ ورغم ذلك

-رحمه الله - الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ - رحمه الله - بالقيام علي ولاية الحسبة وأن يمارس أعمالها وينفذها ويباشر أعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علي نطاق واسع وزوده بأعضاء من العلماء والأعيان يساعدونه ، وكان الملك عبد العزيز يعاونهم ويساعدهم في الأعمال التنفيذية للاحتساب وكانوا يأمررون وينهون ويعزرون ، وكان المقر الرئيسي لهم مدينة الرياض وأقاموا فروعاً لهم بمدن نجد الكبرى وفي الإحساء وحائل ، ولما توفى الشيخ عبد اللطيف تم تكليف الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نجد عام ١٣٤٥هـ وما لبثت هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن عمت كافة المدن والقرى لإيمان الملك عبد العزيز - رحمه الله - بجواها ، وكان لا يسمع بمكان ليس فيه من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر إلا وجه إلي القائم فيه كتاباً يأمره بتعيين نفر من أهل الصلاح والتقوى لهذا الأمر . وتبع هذه المرحلة من مراحل التطوير تعيين مراقبين للتفتيش والتأكد من حسن سير العمل بالهيئات في كل مكان ^(١) . وكان أعضاء الهيئات يشنون في الأسواق فيمنعون الاختلاط والسفور وتطفيئ المكايل والموازين وإساءة معاملة الدواب ويمنعون تصوير ذات الأرواح واللهو الحرام ، ويلاحظ من هذه الأنشطة

ظل هدفها ، الاضطلاع بمهام النصيحة وحراسة القيم الإسلامية ، ثابتاً لا تحيد عنه ، وفي الصفحات القادمة نلقي الضوء على نماذج حديثة لتطبيقات النصيحة اضطلعت بها منظمات وهيئات ومؤسسات في كل من المملكة العربية السعودية وجمهورية السودان ، كما نتناول الشورى في إطار تطبيقات النصيحة في العصر الحديث .

تطبيقات النصيحة في المملكة العربية السعودية :

كان لموقف الإمام محمد بن سعود المناصر لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثره الكبير في نشر الدعوة السلفية ، والقضاء علي الشرك والبدع وإحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندما نقشت الانحرافات العقدية والعادات الوثنية بالجزيرة العربية بسبب ضعف الدولة العثمانية في أواخر عهدها ^(١) . وتضامن العلماء والأمراء في الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلا أنه لم ينفرد بالحسبة شخص معين في ولاية مستقلة عن الولايات الأخرى في الدور الأول والثاني من الأنوار السعودية الثلاثة . وكان العلماء يقومون بدورهم تطوعاً لله ، كل في بلده ، حتى فتح الملك عبد العزيز - رحمه الله - الرياض في ١٢١٩هـ ^(٢) .

عندما استقرت الأوضاع السياسية بالجزيرة العربية كلف الملك عبد العزيز

أن مجالات الاحتساب اتسعت فشملت الممارسات العبادية والأخلاقية التي تمس حياة الناس^(٤).

باشرت هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهام الاحتساب في الحجاز بعد ضمه للمملكة فقد خاطب الملك عبد العزيز - رحمه الله - العلماء والأعيان بمكة المكرمة بضرورة قيام هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عشية دخوله مكة المكرمة في ذي الحجة عام ١٢٤٥هـ وتم تكليف الشيخ عبد الله بن سليمان الخالدي رئيس قضاة الحجاز - آنذاك برئاسة الهيئة وعين السيد حسين ، إمام الحرم الشريف ، نائباً له . واتخذت الهيئة من مدرسة السيد أحمد عيد ، بباب الصفا ، مقراً لها . وتعهد الشيخ عبد الله الخالدي أن تتخذ الهيئة ، في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الوسائل الموصلة إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة . وأصبح الأمير فيصل - نائب الملك بالحجاز - المرجع الأعلى لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمنطقة الغربية ؛^(٥) والجدير بالذكر أن الشيخ محمد بهجت البيطار مدير المعهد العلمي السعودي آنذاك كتب رسالة من ثمان صفحات في تحديد ما هو المعروف وما هو المنكر وشروط إنكاره والاحتساب عليه كي يهتدي بها الدعاة المرشدون^(٦) . وقبل وفاة الملك عبد العزيز - رحمه الله - في عام ١٢٧٢هـ عمت هيئات

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كافة أرجاء المملكة وانتقلت الحسبة من التطوع إلى التكليف ومن تعدد الإشراف إلى وحدته وإرجاع الفروع إلى الأصول من أجل إحكام السيطرة الإدارية .

وجه الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - في عام ١٢٧٥هـ القائمين علي أمر هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أخذ البرعية بالحسنى لأن الشعب في نظره سامعٌ مطيعٌ ولا يحتاج إلا إلى التنبيه ولهذا لا ينبغي استعمال القسوة في معاملة الناس حيث ينفع لين الجانب^(٧) . أما في عهد الملك فيصل - رحمه الله - فقد اتجهت الحسبة إلى التخصص في أعمال المحتسب والأخذ بالأساليب الإدارية الحديثة ومراعاة التسلسل الإداري الهرمي وترسيخ الهيكل الوظيفي والتوسع في إنشاء الفروع في البلدان والمناطق النائية وإحلال الكفاءات المتعلمة والمدرّبة والتزود بوسائل الاتصال الحديثة^(٨) . وفي عهد الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله - صدر مرسوم ملكي في عام ١٣٩٦هـ بتوحيد هيئات الحجاز ونجد تحت مسمى "الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ، وأصبح رئيسها بمرتبة وزير ، وأدخلت الأساليب الإدارية الحديثة ، وصدر في عام ١٤٠٠هـ نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بموجب مرسوم ملكي ، نظم هذا المرسوم أعمال الرئاسة تنظيمًا جيداً حدد

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تطبيقات النصيحة في جمهورية السودان :

عرفت بلاد السودان وادي النيل شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ انتشار الإسلام فيها وقيام الممالك الإسلامية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي - فقد استقدم سلاطين سنار إلي مملكتهم الإسلامية التي عرفت أيضاً بالسلطنة الزرقاء العلماء من الحجاز ومصر والمغرب ليعلموا الناس أمور دينهم ^(١٠) وتأسست الخلاوي والمدارس لتعليم القرآن والفقه في شتي بقاع القطر وأصبح للعلماء والفقهاء مكانة مرموقة وكلمة نافذة في المجتمع حتى علي السلاطين والأمراء . وطفقوا يجوبون البلاد طولاً وعرضاً محتسبين يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر . واتخذ منهم السلاطين والأمراء مستشارين ووزراء وقضاة لا يقطع أمرؤن مشورتهم ، وعرف لكثيرين منهم تاريخ حافل في التصدي للمنكرات خصوصاً في شأن العقيدة وكبح جماح التصوف البدعي ^(١١) .

عندما ترسخت التعاليم والقيم الإسلامية في المجتمع السوداني تطورت مؤسسات النصيحة تبعاً لذلك واتسعت دوائر اهتمامها لتشمل نشر الدين الحنيف في الأصقاع النائية التي لم تدخل الإسلام . فقامت جماعات المحتسبين من العلماء

أسس تشكيل الهيئة وواجباتها في المدن والقرى والهجر وصلاحيات الرئيس العام ونوابه وتم ربط الهيئة بفروعها بأحدث وسائل الاتصال في كافة أرجاء المملكة.

أما الملك فهد - رحمه الله - الذي خلع لقب صاحب الجلالة مفضلاً عليه لقب خادم الحرمين الشريفين ، فقد نصّ النظام الأساسي للحكم الذي أصدره بالأمر الملكي عام ١٤١٢هـ علي قيام الدولة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فقد جاء في المادة ٢٢ من ذلك النظام ما نصّه : " تحمي الدولة عقيدة الإسلام ، وتطبق شريعته ، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتقوم بواجب الدعوة إلي الله " ^(٩)

لقد أمضيت بالمملكة العربية السعودية ٢٢ عاماً عاملاً بالتدريس والتدريب والتوجيه بالمملكة واطلمت عن كثب علي كثير من أنشطة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجالات احتسابها ، وفي رأيي أن التجربة السعودية تمثل النموذج الأمثل لتطبيقات النصيحة حديثاً آخذين في الاعتبار معيار الإنجازات كما ونوعاً ومعيار الرضي عن الخدمة التي تقدمها تلك الهيئات في المجتمع السعودي . وأشهد الله أنني لم أر بيئة تتمثل فيها تعاليم الإسلام مجسدة في أروع صورها كالبيئة السعودية ؛ ويعزني انضباط الشارع السعودي والتمسك البادي لليمان بأهداب الفضائل والقيم الإسلامية النبيلة للعمل الدؤوب بأحكام

والتجار والأعيان بمهمة نشر الدين الإسلامي في مناطق جبال النوبة بغرب البلاد ومناطق الزنوج بأطراف البلاد الجنوبية والجنوبية الشرقية . ولقد بدأ هذا العمل الدعوي الضخم بجهود شعبية قادها العلماء المحسبون ، ولم تسهم فيها الحكومات السابقة بأي نصيب ^(١٢) . ولقد حقق هؤلاء الدعاة المحسبون نتائج طيبة بإدخالهم أعداداً كثيرة في الإسلام . ولقد أذهلت النتائج التي حققها الدعاة إلى دين الإسلام منظمات التبشير المسيحية ، فعلى الرغم من تفوق المنظمات الكنسية في التنظيم والإمكانات المادية والبشرية إلا أنها لم تحقق الكسب الذي حققه الدعاة المسلمون بجهودهم الفردية وإمكاناتهم المحدودة ، وسقطت الدعاوى القديمة القائلة بانتشار الإسلام بالسيف والإكراه ^(١٣) .

عندما تبنت الدولة السودانية الحديثة تطبيق أحكام الشريعة في البلاد عام ١٩٨٢م كان من الطبيعي أن تتطور مؤسسات النصيحة وتتسع مجالات عملها وتتعدد أنشطتها فأصدر الرئيس جعفر النميري - رحمه الله - قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونظم القانون أعمال الحسبة . وفي حقل الدعوة إلى الله قامت منظمة الدعوة الإسلامية لتتولى أمر إعداد الدعاة فأنشأت المدارس والمعاهد وأقامت المركز الإسلامي الأفريقي لتعليم الأفارقة ليتولوا

أمر الدعوة إلى الله بالقارة السمراء ^(١٤) . وفي مجال الحفاظ على الأخلاق والقيم الإسلامية قامت منظمات مثل صندوق دعم تطبيق الشريعة وهيئة تزكية المجتمع ، وهي مؤسسات نصيحة شعبية تعمل وفق شرعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يتجند للعمل بها العلماء والدعاة والمواطنون الأخيار من المشهود لهم بالفضل والصلاح . ولهذه المنظمات مكانة مرموقة في المجتمع السوداني بفضل جهودها الموفقة وتبنيها لأساليب النصيحة البعيدة عن الإثارة والرياء ، وتضم في صفوفها نساء فاضلات يصنعن بأيديهن اللباس المحتشم ويوزعنه على الأسر الفقيرة مجاناً أو بسعر التكلفة ويضم المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية جهود المؤسسات الدعوية كافة ^(١٥) .

لقد تبلورت تجارب حديثة وناجحة للنصيحة في مجال التكافل الاجتماعي ، فقد انتشرت دواوين الزكاة التي تعمل وفق أحكام الشريعة الإسلامية بإشراف الدولة في جميع المدن والأحياء لتأخذ فضول أموال الأغنياء وتردها على الفقراء ومن ذلك جمعيات أصدقاء المرضى والمعاقين وكفالة الأيتام ومحو الأمية ومجالس الأجاويد في القرى والأرياف ^(١٦) وفي الآونة الأخيرة انتشرت جمعيات حقوق الإنسان وحماية البيئة ، وعلى الرغم من أنها حديثة النشأة مقارنة بالجمعيات الأخرى إلا أنها تضطلع بدور مهم في مجالها .

الشورى وتطبيق النصيحة :

نزلت أول أدلة مشروعية الشورى في سورة الشورى وهي مكية ، قال تعالى (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) الشورى الآية (٢٨) . وذكر الإمام الشوكاني في تفسير هذه الآية " أي يتشاورون فيما بينهم ولا يعجلون ولا ينفرد بعضهم بالرأي " (٢٠) .

وجاء الأمر بالشورى في قوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنت لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران ١٥٩) وهي أمر صريح للنبي صلى الله عليه وسلم ليقوم بمشاورة أصحابه رغم أن الله عز وجل قد أغناه بتدبيره (٢١)

. واستدل الإمام محمد عبده رحمه الله علي الشورى بقول الله تعالى (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران ١٠٤) مع إنها لم تتضمن لفظ

الشورى وهو يري أن الظالم لا يكون إلا قوياً ولذلك اشترط في الناهين عن المنكر أن يكونوا أمة لأن الأمة لا تخاف ولا تغلب وهي التي تقوم عوج الحكومة المبنية علي أصل الشورى ، ويذهب إلي أن دلالة هذه الآية أقوى من دلالة آية " وأمرهم شورى بينهم " وآية " وشاورهم في الأمر " لأنها تفرض أن يكون في الناس جماعة يتولون

أما في مجال مناصحة الحكام فقد قامت مجالس الشورى والمجالس التشريعية والمجامع الفقهية وهي لا تألو جهداً في تقديم النصح للحكام والمحكومين بما تمده من دراسات مؤصلة في شتى المجالات . ولقد انتظم معظم علماء السودان في هيئة شعبية عرفت بهيئة علماء السودان وهي هيئة ذات أثر فعال في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، خاصة فيما يتصل بالحكام لأنها ليست حكومية ويقوم علماءها بواجب الاحتساب تطوعاً . ولما كان علماءها من ذوي الفضل والصلاح فقد لقيت قبولا من أهل البلاد حكاماً ومحكومين وهي تضطلع بدور فاعل فيما يتصل بتقويم القوانين وإصدار الفتاوى (٢٢) .

لا يفوتنا أن ننوه بما تؤديه المساجد في البلاد - وقد تضاعف عددها في العقدين الأخيرين (٢٣) - من خدمات جليلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومعظم الأئمة بمساجد المدن الكبيرة من ذوي العلم والفضل ويتطرقون في خطبهم ودروسهم لكافة القضايا التي تهم مجتمعاتهم ويبينون للناس ما ينفعهم وما يضرهم وفق أحكام الشريعة الإسلامية الفراء . ومن الإنجازات المشهودة لعلماء السودان والدعاة وأئمة المساجد حوارهم المستمر مع الغلاة والذي أدى إلي عودة الكثيرين منهم إلي منهج الوسطية والاعتدال (٢٤) .

الخزرجي ووافقه في رؤياه سيدنا عمر بن الخطاب فكانت صيغة الأذان الخالدة^(٢٧). والشواهد علي مشاورة الرسول لأصحابه لا حصر لها علي الرغم من عصمته ومعرفته بمآلات الأمور؛ فنزل علي رأي الحباب بن المنذر عند ماء بدر واستشار في أسري بدر في أعقاب المعركة، وفي غزوة أحد استشار رسول الله صلي الله عليه وسلم صحابته في أمر الخروج، وكان رأي البقاء بالمدينة وأشار جماعة من فضلاء الصحابة بالخروج وألحوا فنزل الرسول صلي الله عليه وسلم علي رأيهم فكان الخروج إلي أحد^(٢٨). وبين يدي الطائفت استشار رسول الله صلي الله عليه وسلم أصحابه في حصار المدينة فأشار عليه نوفل بن معاوية رضي الله عنه قائلاً: "الطائفت ثعلبٌ في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرک". فأخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم بقوله ورفع الحصار عن المدينة^(٢٩). وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يستشير حتى في شأن بيته وذلك لما كان لبيته من صلة وثيقة بالشأن العام فممارسة الشورى واجب يلزم المسلمين لا مجرد حق يجوز لهم استخدامه أو تعطيله.

لا شك أن دعوة القرآن والسنة المتكررة إلي الأخذ بمبدأ الشورى تتكافأ مع فوائدها الضخمة العميمة ووظائفها الجليلة فهذه الوظائف والمعاني هي التي تجمع شمل الأمة علي صعيدٍ واحدٍ وهي التي تكفل لقراراتها

الدعوة إلي الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عام في الحكام والمحكومين ولا معروف أعرف من العدل ولا منكر أنكر من الظلم^(٣٠).

من الأدلة علي الشورى في السنة قوله صلي الله عليه وسلم "إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاؤكم وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من باطنها"^(٣١). ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه "ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلي الله عليه وسلم"^(٣٢) وهو حديث قوي الدلالة علي أنه إذا كان رسول الله صلي الله عليه وسلم المؤيد بالوحي يشاور الناس فما أحري غيره أن يشاور الخلق ولا يستبد من دونهم بالرأي، يعضد ذلك حديث "المستشار مؤتمن" و"الدين النصيحة" وقد تقدم ذكرهما، وقوله للصحابين الجليلين أبي بكر وعمر "لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما"^(٣٣) وعندما سئل عن الحزم قال صلوات الله وسلامه عليه "أن تشاور ذال ب ثم تطيعه"^(٣٤) وفي هذا الدليل مزيد بيان لما ورد في الحديث السابق من ضرورة إتباع الرأي الذي تتمخض عنه الشورى من أهل الرأي والعلم.

ومن سنته العملية في تطبيق الشورى مشاورته لأصحابه في وسيلة النداء للصلاة "الأذان" الذي جاء بصيغته التي سمعها في منامه الصحابي الجليل عبد الله بن زيد

تتكامل المعرفة النظرية والعملية لما فيها من تحريض علي التفكير الجاد والتقليب المتأني لوجوه الرأي حتى يتضح الخاطئ والصحيح والأصح . وفي أحيان كثيرة يأتي اختيار الرأي من ارتباطه بالواقع المعاش فيتقوى بتلك الميزة .

تتجلى فضائل الشورى في وقت الخطوب والكروب التي تلحق بالأمم وتصف بها مما يمكن أن يجلب خطل الرأي ؛ لكن اجتماع الناس في إطار الشورى يؤدي إلي توازن نفسي وعقلي والوصول إلي الرأي الأصوب ومن أجل فوائد الشورى مكافحة نزعات التطرف والعنف .

إن محصلة الاجتهاد الجماعي تقود إلي قرارات جماعية معتدلة في الغالب ، فالتشدد لا يصدر إلا من أفراد ذوي دوافع ونوازع وعقد تحدهم إلي اتخاذ قرارات متباعدة عن الحكمة والحسني ، ولكن تبادل الآراء الصادرة عن دوافع متباينة يتجه بالقرارات نحو الواقعية والاعتدال وفي رأيي أن الشورى هي العلاج الأجدي لحماقات التطرف وشططه ، فعندما تتاح للمتطرفين الفرصة لإبداء رأيهم يخفني التشنج الناتج عن الحرمان والكبت والاضطهاد . فإخراج آرائهم إلي الضوء هو المقدمة لدحضها وهزيمتها . وقديماً تمكن سيدنا عبد الله بن عباس في خلافة الراشد علي بين أبي طالب من زحزحة ما ينيف علي أربعة آلاف من الخوارج من مواقع التطرف إلي الاعتدال

إصابة الرشد وتعطي الأمة الولاية علي نفسها وفق معايير الشرع وتتيح لها مراقبة حكامها وتقديمهم وتقويمهم متى جنحوا عن جادة الصواب . ومبدأ يتمتع بهذا القدر الفائق من الأهمية لا يمكن أن يكون في عداد الفواغل الصغرى والمنذوبات غير اللازمة ، بل هو في طليعة الواجبات حتمية الأداء ، وبدون إنفاذه في حياة الأمة المسلمة لا يرجي لها أن تستعيد مجد أسلافها أو تنهض برسالة الإسلام الحضارية في الآفاق . لذا أجدني مدفوعاً بهذا المنطق وهذه الحجج القوية للأخذ برأي القائلين بأن حكم الشورى هو الوجوب .

فوائد الشورى :

للشورى ثمرات عديدة منها ما يجنيه الفرد ومنها ما تجنيه الجماعة . وما شرعت في الأصل وتكرر الحث عليها إلا لفوائدها العميمة ؛ وقال الإمام الطبري في معرض تفسيره للآية الكريمة " وشاورهم في الأمر " ما أمر الله عز وجل بالمشورة إلا لما علم فيها من الفضل ^(٢٠) .

ومن فوائد الشورى تسديد النظر إلي المشكلة من أكثر من زاوية ، فإخضاع أي مشكلة للتداول الشورى الحر يمكن من رؤيتها من زوايا واتجاهات متباينة ومتقاطعة . وهذا ما عبر عنه سيدنا عمر بن الخطاب بقوله " الرأي كالخيطة السجيل والرأيان كالخيطين المبرمين والثلاثة مزار لا يكاد ينتقض ^(٢١) " . وبالشورى

عن طريق الحوار^(٢٢). وتؤدي الشورى إلى الوصول إلى المواقف المشتركة التي ترضي معظم الأطراف بما يقع في دائرة الإباحة والمصالح المرسله وتترتب على سعة الموافقة على القرار الشورى أهمية خاصة تؤدي إلى تحسين موقف التنفيذ والتطبيق .

لا شك أن الشورى تؤدي إلى تحقيق الوثام العام الذي هو من المقاصد الكبرى لتحقيق أمن المجتمعات فمن أصعب المهام تأليف القلوب وربط الناس برباط المحبة والثقة . فكلما أحسن الناس بالتقدير المعنوي والمشاركة في صنع القرار ازدادوا التصاقاً بالعمل العام واحتراماً للنظام السياسي وتلاشي ظاهرة الاغتراب السياسي Political alienation^(٢٣) التي يتحدث عنها علماء السياسة الغربيون المعاصرون وفحواها تجايف الناس من المشاركة في العمل العام، وبما أن تلاقي الآراء يؤدي إلى تلاحقها وتخصيبها وتولد مركبات جديدة منها ، فتشتعل الفتوى وتنتج أذكى الخواطر وأبرع الأفكار، وبذلك تفتح الشورى المجال واسعاً للإبداع في كافة جوانب الحياة.

ويمتاز مفهوم الشورى عن مفهوم الديمقراطية الغربية أن الإسلام يعد ممارسة الشورى واجباً لا مجرد حق للإنسان يمارسه أو ينصرف عنه. ويحيط الإسلام بممارسة الشورى بالمسؤولية الأخلاقية والسؤال الأخروي الأمر الذي يعالج كثيراً من أطماع البشر الذين

يفسرون مسائل الحكم والمسائل العامة تفسيراً مادياً دنيوياً صرفاً كما هو الحال في الديمقراطية الغربية التي ابتليت بالنموذ المادي الطاغوي.

من القضايا التي لا يزال يدور حولها الجدل في أوساط الأمة الإسلامية قضية دخول المرأة في مجالات الشورى وأكثر الفقهاء القدامى مع إنكار حق المرأة في الشورى ؛ إلا أن للأستاذ الكبير محمد عزة دروزة رأي سائغ في هذا الشأن يقول فيه : " إن الإسلام قد منح المرأة هذا الحق ولكنها لم تمارسه في أيام الراشدين علي نطاق واسع لأنها كانت في حاجة إلى تدريب عليه " وذكر قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه " كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً ، فلما جاء الإسلام وذكرهن الله رأينا أن لهن حقاً من غير أن ندخلهن في شيء من أمورنا " ^(٢٤) . العلماء المعاصرون يؤيدون إشراك المرأة في الشورى مثل الدكتور وهبة الزحيلي والدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري الذي يقول " وللمرأة حقها في أن تلج مختلف الوظائف باستثناء الإمامة العظمي والقضاء المطلق ، ومن حقها أن تنتخب للشورى وأن تعمل في كل مجال شريف يحفظ كرامتها ويراعى أنوثتها " ^(٢٥) وهذا قول قسط يماشى الشرع والعقل ؛ فهناك مجالات عديدة للشورى مما يهم المرأة خاصة تبرع في شرحها والدفاع عنها دون الرجال .

الواقعي لمقدرات هذه الأمة وقيمها ؛ وعليه فلا بد من الاهتمام بشرائعها وتجويد الأداء بمؤسساتها ، ولتتم ذلك على الوجه الأكمل أوصي بما يلي :

١. العمل علي نشر ثقافة النصيحة وشرعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمعات الإسلامية بكافة الوسائل بما في ذلك وسائط الإعلام الحديثة ؛ التي تلعب دوراً حاسماً في الإعلان والترويج وتشكيل الرأي العام .

٢. دراسة تاريخ نظام الحسبة التراثي دراسة نقدية تقويمية للإفادة منه لأن مهام المحاسبين القدامى قد توزعت في عالم اليوم بين شرطة التموين والآداب ومفتشي الصحة والموجهين التربويين .

٣. إعلاء شأن شميرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشأن القائمين عليها وذلك بتسليط الضوء علي إنجازاتها المهمة والدور الذي لعبه في صيانة عقائد الأمة وقيمها ومقدراتها والاستفادة من التجربة السعودية المتقدمة في مجال تطبيق شرعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤. بما أن الشورى من شعائر الإسلام المهمة فلا بد من بذل الجهود لإشاعتها ونشر ثقافتها وتقوية مؤسساتها لتقوم بالدور المنوط بها في الحفاظ علي كرامة الناس وحقوقهم .

٥. إلحاق جزء من لجان الاحتساب بالمجالس الشورية بحيث لا يقع الاحتساب

وهناك مبرر آخر من فقه الواقع يسوغ إعطاء المرأة حق الشورى ، ذلك أن الرجال كثيراً ما يهتمون احتياجات النساء ومطالبهن ، ولذلك جاء القرآن يطالب الرجال بعدم الجور عليهن. وكانت إحدى آخر وصايا الرسول صلي الله عليه وسلم في حجة الوداع الاستيلاء بالنساء خيراً^(٢٥) . ويرى الباحث أن يخلي بينهن وبين الإدلاء بأرائهن في شورى منظمة تحمل آراءهن ومطالبهن العامة إلي أولي الأمر من المسلمين .

الخاتمة والتوصيات :

استهدفت شرائع الإسلام الإنسان ، معاشاً ومعاداً وترقيهاً وتزكيةً من خلال مفهوم شامل للعبادة يستوعب كل مناشطه وحركته في الحياة وعلاقته بالآخر ؛ فأصرة الإنسانية هي إحدى الأسس التي يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي والكفاية والعدل من مرتكزات الاقتصاد الإسلامي ، وترسيخ قيم الشورى والعدالة والمساواة بين الناس وإشاعة الأمن والطمأنينة والنبيل والقيم الفاضلة من مقاصد الشريعة الغراء .

أما الدعوة لهذه القيم والعمل علي بسطها علي أوسع نطاق فيتم من خلال التوظيف الأمثل لشرعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبسط الأكمل لثقافة النصيحة لتصبح حركة مجتمع شاملة لا تستثني أحداً . فالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعلمتهم وهي السياج

ط الحلبي ، والحاكم ٢/٢٨٨ ط دار المعارف من حديث عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه .

٨. جامع العلوم والحكم ، مرجع سابق ١/٢١٨ .

٩. الإمام الحافظ بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مكتبة الرباط الحديثة ، د.ت ١/١٢٨ .

١٠. البيهقي ، شعب الإيمان ، مرجع سابق حديث المؤمن مرأة أخيه ، أخرجه أبو داؤود ٥/٢١٧ من حديث أبي هريرة وقال المناوي إسناده حسن ، وحديث "أن أحدكم مرأة أخيه" أخرجه الترمذي ط الحلبي ٤/٢٢٦ وذكر أن شعبة ضعف أحد رواته .

١١. أبو حامد الفزالي ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة بيروت ١٤٠٣هـ ١٨٢-١٨٣/٢ .

١٢. جامع العلوم والحكم ، مرجع سابق ١/٢٣٥ .

١٣. الفزالي ، إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ٢/٢١٧ .

١٤. الرازي ، أبو حاتم ، آداب الشافعي ومناقبه ، تحقيق عبد الفتي عبد الخالق ، دار الكتب العلمية ، بيروت د.ت. ص ١١١ .

١٥. حديث المستشار مؤتمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أبو داؤود ٢/٣٤٥ والترمذي ٥/١٢٥ وقال حديث حسن .

١٦. عبد المجيد النجار ، الإسلام وأثره في الحياة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩٧ ، ص ١٢٧ .

١٧. القاضي عياض بن موسى الأندلسي ، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرون ، مكتبة الفارابي ، دمشق د.ت. ٢/٢١٧ .

١٨. الفزالي ، إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ٢/٣٠٧ .

١٩. أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي ، شرح صحيح مسلم ، المطبعة العربية د.ت. "بيان

كله تحت سلطات الجهاز التنفيذي وذلك في إطار توازن القوي بين السلطات .

٦. الدعوة إلي اجتهد مشترك بين علماء الفقه وعلماء الإدارة العامة لإيجاد مؤسسات احتساب عصرية وفعالة تعمل كمنظمات مجتمع مدني لإشراك الناس في أعمال الاحتساب الطوعي الشورى .

٧. بما أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض أدعو إلي تمكين المرأة من القيام بأعمال الاحتساب فيما يليها وممارسة الشورى في كافة مستوياتها بعد أن نالت قسطاً كافياً من التعليم وتمرس على أداء الوظائف العامة .

الهوامش

هوامش الفصل الأول

١. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، بيروت : دار صادر ١٩٩٠ م ، ٢٣٦-٢٣٢/٤ .

٢. البيهقي ، شعب الإيمان ، ط دار الكتب العلمية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٢٦١ في أثر لابن مسعود

٣. أبو بكر محمد بن العربي ، أحكام القرآن ، القاهرة ، مطبعة علي الجبالي ١٩٦٨ ، ١/٢١٨

٤. ابن قيم الجوزية ، إعلام الموقعين ، صيدا المكتبة العصرية ١٤٠٧هـ ٢/٢١٧ .

٥. ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ، مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ ١/١٩٢ .

٦. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٨هـ ٢/١٣٤ .

٧. حديث الحج عرفة ، أخرجه الترمذي ٢/٢٨٨ ،

٤. مهدي زرق الله ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ط١ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ١٤١٩هـ ، ص ١٨٧.

٥. الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، المجلد الثاني ، ص ٢٠٧.

٦. ابن الجوزي ، أبو الفرج ، تاريخ عمر بن الخطاب ، تحقيق محمد شومان ، دير الزور ، مكتبة التراث د.ب. ص ١١٦.

٧. البلاذري ، أحمد بن محي الدين بن جابر ، أنساب الأشراف ، غويتين القدس ، ١٩٣٦. ج ٢ ص ٥٩.

٨. ابن قيم الجوزية ، إعلام الموقعين ، مرجع سابق ، ج ٣ ص ١١٢.

٩. الذهبي ، شمس الدين بن محمد بن أحمد ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، بيروت ، دار الكتب العلمية ط ٣ ١٤٠٦هـ ج ٤ ص ٢٢٢.

١٠. ابن قيم الجوزية ، إعلام الموقعين ، مرجع سابق ج ٢ ص ١٥٦.

١١. ابن عثيمين ، محمد الصالح ، القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسني ، دار ابن القيم ط ١ ١٤٠٦هـ ، ص ١٢٨.

١٢. Huntington. Samuel. Political Order in Changing Societies New Heaven. Yale.

١٩٨٦. Press. University.

١٣. رضا محمد رشيد ، تفسير المنار ، بيروت ، دار المعرفة د.ت ح ١ ص ١٩٩.

١٤. ابن تيمية ، تقي الدين أحمد ، الحسبة في الإسلام ، تحقيق محمد زهري النجار ، المؤسسة السعيدية ، الرياض ١٤٠٠هـ ، ص ٧١.

١٥. الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، مرجع سابق ، ص ٣٦٦.

١٦. ابن تيمية ، الحسبة في الإسلام ، مرجع

أن الدين النصيحة " حديث رقم ٩٥ ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الإيمان ، حديث رقم ٢٧.

٢٠. الإمام الفخر الرازي ، التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب ، مطبعة الهيئة المصرية ، القاهرة ١٣٧٥هـ ، ط ١ ٩/٢٠٨ ؛ وابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير ، المجلد ٣ ص ١٤٩.

٢١. شرح صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٢٠٥.

٢٢. صحيح البخاري ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ١٤٠٧هـ ، ٢/٦٢٥ وصحيح مسلم ٢/١٤٥.

٢٣. صحيح البخاري ٢/٥٦٨، ٥٦٩، ٥٨٥.

٢٤. صحيح البخاري ٢/٥٧٤، ٥٧٥.

٢٥. صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ، ٤/١٠٨٢ ونحوه عند البخاري ٢/٥٨٠.

٢٦. صحيح مسلم ، مرجع سابق ٤/١٠٨٢.

٢٧. صفى الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ، دار الوفاء القاهرة ١٤٢٦هـ ط ١٧ ص ٣٩٢ "الحديث بطوله رواه ابن جرير وابن عساكر ، صحيح مسلم ١/٣٩٧.

هوامش الفصل الثاني

١. الطبري ، محمد بن خير ، تاريخ الأمم والملوك ، بيروت ، دار الكتب العلمية ج ١ ص ٣١٧.

٢. ابن سعد ، محمد بن منيع ، الطبقات الكبرى ، بيروت ، دار صادر ١٩٧٥م المجلد الأول ص ٤٥٠.

٣. ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق محمد عبد الله أبو صعليك ، الزرقاء ، مكتبة المنار ١٤٠٩هـ المجلد الثاني ص ٩٦-٩٥.

٥. البفمي، طامي بن هديف، التطبيقات العملية للحسبة، في المملكة العربية السعودية. من عام ١٣٥١-١٤٠٨هـ، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤٠٢هـ ص ٥٦.
٦. المرجع السابق ص ٦٢.
٧. أبين بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ط دارة الملك عبد العزيز ١٤٠٢هـ الرياض، ص ١١٩.
٨. المنجد، صلاح الدين، فيصل بن عبد العزيز من خلال أقواله وأعماله دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٢م ص ٨٩.
٩. النظام الأساسي للحكم والمناطق والشورى، ملف خاص عن الأنظمة الثلاثة طبع مجلة تجارة الرياض، عدد ٣٥٤ رمضان ١٤١٢هـ "النظام الأساسي لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".
١٠. البصيلي، الشاطر عبد الجليل، الدويلات الإسلامية في السودان وادي النيل، دار النشر جامعة الخرطوم ١٩٤٦م، ص ٩٢.
١١. نعم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار الثقافة، بيروت: ١٩٦٧م، ص ١٣٢.
١٢. كاتب الشونة، أحمد الحاج أبو علي، تاريخ ملوك السودان تحقيق مكي شبكية، دار النشر الخرطوم، ١٩٤٧م ص ١٦٧.
١٣. مكي شبكية، السودان عبر القرون، ط، دار الثقافة بيروت، ١٩٦٨م ص ٣٥١.
١٤. الشنقيطي، محمد المختار، الحركة الإسلامية السودانية، فكرها الاستراتيجي والتطبيقي، دار الحكمة لندن، ٢٠٠٢م ص ٢١٧.
١٥. يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان الحديث، ط ١ وزارة الشؤون الدينية

- سابق، ص ٦٧.
١٧. القرشي، محمد بن أحمد، معالم القرية في أحكام الحسبة، مطبعة جامعة كمبودج ١٩٢٧، ص ٦٤.
١٨. المرجع نفسه، ص ٧٠-٦٩.
١٩. آل الشيخ، عبد العزيز بن محمد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الماضي والحاضر، مطابع جامعة الإمام ١٤١٦هـ، ص ٤٨-٤٧.
٢٠. حسن، إبراهيم حسن، تاريخ مصر في المصور الوسطي، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٥١م، ص ٣٧١.

هوامش الفصل الثالث

١. التركي، عبد الله بن عبد المحسن، الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية، المنهج القويم في الفكر والعمل، د. ط. د. ت، ص ٢١.
٢. المرجع السابق ص ٣٧.
٣. عبد العزيز آل الشيخ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرجع سابق، ص ٢٣ أنظر كذلك الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة العربية السعودية، تاريخها وأعمالها المجلد الأول، ط مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٩هـ الرياض، ص ٢٣ وما بعدها للدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن سعيد.
٤. السعيد، عبد العزيز بن عبد الرحمن، الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة العربية السعودية، تاريخها وأعمالها المجلد الأول، الرياض، ط مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٩هـ ص ٢٣ وما بعدها.

"وأمرهم شورى بينهم"، "وشاورهم في الأمر"، وقال المشاورة قبل العزم لقوله تعالى "فإذا عزمت فتوكل على الله".

٢٧. المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

٢٨. ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ص ٣١٤.

٢٩. المرجع السابق، ص ٣١٦.

٣٠. الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٢٤٤/٣.

٣١. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، نصيحة الملوك، مكتبة الفلاح الكويت، ١٤٠٢هـ ص ١٥٠.

٣٢. ابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، تحقيق أحمد زكي العدوي، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، الجزء الأول، ص ٣١.

٣٣. دروزة، محمد عزة، الدستور القرآني في شئون الحياة، دار إحصاء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٦، ص ٨٢.

٣٤. التوجيهي، عبد العزيز بن عثمان، المرأة في نظر الإسلام ومكانتها في المجتمع الإسلامي، مطبعة المعارف الحديثة، الرياض ١٩٩٣م، ص ١٩.

٣٥. النجار، إبراهيم عبد الهادي، حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية، مكتبة دار الثقافة عمان الأردن، ١٤١٥هـ ص ١٢٨.

الخرطوم، ١٩٧٦م المجلد الثاني ص ٢٦١.

١٦. حسن مكى، الثقافة السنارية، المفزى والمضمون، مركز البحوث جامعة إفريقيا العالمية، إصدار رقم ٥، ١٩٩٠م ص ١١٤.

١٧. حيدر التوم، تقرير أداء هيئة علماء السودان ٢٠٠١-٢٠١٠م مجلة المنبر التي تصدرها الهيئة العدد ١٤ محرم ١٤٣٢هـ، بالإشارة إلى الأعداد ١١، ٩، ٧ من نفس الإصدار.

١٨. المصدر السابق العدد ٩ ص ٧٢-٣١.

١٩. محمد عثمان صالح، منهج الوسطية في الخطاب الدعوي، حقوق الإنسان في الإسلام، نموذجاً، مطبعة دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر، ١٤٢٧هـ، ص ١٩-١٧.

٢٠. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق ٥/٦٤٨.

٢١. محمد بشير رضا، تفسير المنار، مرجع سابق، المجلد الرابع ص ٤٥.

٢٢. أخرجه الترمذي، في كتاب الفتن عن أبي هريرة، نقلاً عن الدكتور محمد وقيع الله أحمد، من كتاب الشورى ومعاودة أفراح الأمة دار الكتب القطرية ٢٠٠٧م ص ٤١.

٢٣. المرجع السابق، الحديث أخرجه محمد بن مسلم بن شهاب الزهري مرسلًا.

٢٤. أخرجه أحمد في مسند الشاميين وأخرجه ابن حزم، في أصول الأحكام ٢/٢٠٤ مرسلًا.

٢٥. أخرجه أبو داود مرسلًا، وأخرجه أيضًا بلفظ "أن تشاور ذا رأي ثم تطيعه" ط ١، نقلاً عن د. محمد وقيع الله.

٢٦. ابن هشام السيرة النبوية، مرجع سابق، ص ٩٢. وأخرجه البخاري في باب قول الله تعالى